لا بد وأن يكون لديك رجاء

في الخمسينات (تقريباً في بداية خدمته) كان ديرك برنس راعياً لكنيسة في لندن، وأثناء ذلك الوقت رأى أناس يخلصون ويحصلون على الشفاء ومعمودية الروح القدس، ولكن على الرغم من كل تلك البركات إلا انه كان يعاني من هجوم متكرر للشعور بالاكتئاب يسيطر عليه كما لو كان سحابة مظلمة ثقيلة.

في هذا الخطاب التعليمي نوضح لك بعض آراء ديرك المتعلقة بكيفية محاربة الاكتئاب من خلال التعمق في كلمة الله ومن خلال البدء في استخدام أسلوب جديد في الصلاة والتفكير والتصرف.

صارعت ضد الاكتئاب بكل وسيلة عرفتها، وصليت وصمت واتخذت كل القرارات اللازمة، وكنت استيقظ مبكراً للصلاة، وأسهر ليلاً للصلاة، وفعلت كل ما أعرفه ولكن لم يحدث أي تحسن، في الواقع كلما صليت وصمت كلما ازداد الأمر سوءً، وفي أحد الأيام كنت قد استخدمت كل الحلول التي أعرفها حتى استحوذت على فكري عبارة مذكورة في (إشعياء 61: 3) "وَرِدَاءَ تَسْبِيحٍ عِوَضًا عَنِ الرُّوحِ الْيَائِسَةِ"

وأدركت فجأة أني أتعامل مع روح شرير؛ شخصية درستني جيداً وتعرف نقاط ضعفي، وتعرف كيف ومتى تهاجمني، فلم أكن أتعامل مع ظروف نفسية أو عقلية خاصة بي أنا فقط، عندها فهمت لماذا تزداد تلك الضغوط سوءً كلما أردت أن أخدم الرب، لأن مهمة تلك الروح هو أن تعوقني عن خدمة الله، فهذه الشخصية عرفت كيف تأتي بهذا الضغط ومتى.

يعد إدراك هوية عدوي خطوة هائلة للأمام، وقد بحثت في الآيات الكتابية ووجدت آية اعتقد أنها كانت الحل لمشكلتي.

(يوئيل 2: 32) "وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرب يَنْجُو"

ووضعت (إشعياء 61: 3، ويوئيل 2: 32) معاً وصليت صلاة محددة للغاية قائلاً: "يا الله باسم الرب يسوع المسيح، ووفقاً لما تقوله كلمتك أطلب منك أن تحررني من روح الثقل"، وعندما صليت تلك الصلاة الكتابية المحددة تحررت، وتركني هذا الشعور بالضغط.

تعلمت فيما بعد أن التحرير شئ وأن تحافظ على تلك الحرية شئ آخر مختلف تماماً، فقد أظهر لي الله أنه حرر ذهني من تلك الروح الشريرة التي تسبب لي الشعور بالضغط، وأن الأمر الآن يرجع إليّ لكي أعلّم ذهني من جديد وأضع فيه أسلوب حياة وتفكير مختلف، فقبل حصولي على الحرية لم يكن بإمكاني فعل هذا، ولكن بعدما تحررت فمسئوليتي هي أن أفعل هذا.

أرتدي خوذتك

عندما حاربت في هذا الصراع للمحافظة على الحرية التي حصلت عليها من الاكتئاب، أدركت أن مجال المشكلة التي أعاني منها في حياتي هو مجال الذهن، فعادة ما يحاول الشيطان الاقتراب مني باستمرار من خلال ذهني، فقد تمتعت بامتياز الحصول على تعليم رفيع المستوى للغاية، واكتشفت أنه كلما كان ذهن الشخص معداً إعداداً جيداً كلما كان عرضة أكثر للشيطان، وكلما وثقت بأفكارك كلما استطاع الشيطان أن يستخدمها ضدك.

علمت أن الأمر يرجع لي أن أعلم ذهني وأفكاري أنها خادم لي وليست السيد، وعندما أدركت أنني بحاجة إلى حماية ذهني، تذكرت أن في (أفسس 6: 14 – 18) هناك ست أسلحة: منطقة الحق، ودرع البر، وحذاء استعداد إنجيل السلام، وترس الإيمان، وخوذة الخلاص، وسيف الروح، التي تصبح فعالة جميعاً من خلال سلاح الصلاة.

كلما درست تلك القائمة لاحظت أن هناك جزء معين من تلك الأدوات مصمم خصيصاً لحماية الذهن ألا وهو خوذة الخلاص، تغطي الخوذة الرأس وعادة ما نقرنها بالحياة الفكرية، فقد رأيت الله يوفر لي حماية لذهني.

عرفت أنه يوجد لي خلاص، ولكني تساءلت إن كان هذا يعني أني أملك خوذة الخلاص، أم أنه هناك ما هو أكثر من هذا؟ وفي كتابي المقدس كان هناك شواهد بجوار تلك الآية المذكورة في (أفسس 6: 17) لنرجع إلى(1تسالونيكي 5: 8) التي تقول: "وَأَمَّا نَحْنُ الَّذِينَ مِنْ نَهَارٍ، فَلْنَصْحُ لاَبِسِينَ دِرْعَ الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ، وَخُوذَةً هِيَ رَجَاءُ الْخَلاَصِ".

تسمى الخوذة هنا بخوذة رجاء الخلاص، الرجاء، وأدركت كم أني لم أكرس وقتاً خاصاً للتفكير أو لدراسة مكانة الرجاء في حياة المؤمن، وقادني الروح القدس من آية إلى أخرى في العهد الجديد ليظهر لي كيف أن خبرتي الروحية غير متزنة وغير تامة دون الفهم الجيد لمكانة الرجاء كحماية للذهن.

في (1كورنثوس 13: 13) يقول بولس: "أَمَّا الآنَ فَيَثْبُتُ: الإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ"

في سياق هذا الإصحاح يتضح أن تلك هي الحقائق الثلاث الثابتة للاختبار الروحي في حياة المؤمن، يقول بولس إن بقية الأشياء مؤقتة وعارضة، إذ لها هدف وعندما يتحقق هدفها لن يكون هناك حاجة لها، ولكنه قال أن الثلاثة الثابتة للاختبار الروحي هي الإيمان والرجاء والمحبة.

درست المزيد وعرفت أن هناك فرق كتابي بين الإيمان والرجاء اللذين لهما صلة وثيقة بمجالات مختلفة من الشخصية الإنسانية، فيتعلق الإيمان الكتابي بالحاضر من واقع القلب بينما يتعلق الرجاء بالمستقبل من واقع الذهن.

خوذة الرجاء هي الحماية لذهن المؤمن، وبالتالي أعتقد أن كل مؤمن يجب أن يكون متفائلاً، فأن يكون المؤمن متشائماً هذا إنكار للإيمان، فالرجاء يقدم توقعات واثقة بالخير.
تحرر ذهني الذي كان مأسوراً بروح الثقل، وأظهر لي الله أن ذهني تحرر، لهذا فيجب علّي أن أقوي هذا الجانب، فلن يقوم الله بهذا الأمر نيابة عني، إذ أن هذه هي مسئوليتي أن أنمي في داخلي اتجاهات مختلفة وردود فعل مختلفة وأنماط فكرية مختلفة.(رومية 8: 28)هي آيـة واحدة من عدة آيات تدعم إيماني بأن كل مؤمن يجب أن يكون متفائلاً: "وَنَحْنُ نَعْلَـمُ أَن كُـل الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلذِينَ يُحِبونَ اللهَ، الذِينَ هُمْ مَدْعُوونَ حَسَبَ قَصْدِهِ".
إن كنت تحب الله وإن كنت تسعى بصدق لكي تحقق أهدافه، فعندها ستعمل كل الأشياء معـاً لخيرك، ولو كانت كل الأشياء تعمل معاً لخيرك، فلن يكون هناك سبب يدعو للتـشاؤم، إذ أن كل موقف هو مناسبة للتفاؤل، والمفتاح هو أن ندرب أذهاننا لكي نقبل هذا الحق ونحيا به.

الدليل الروحي

الرجاء من أجمل الموضوعات في الكتاب المقدس، فتخبرنا (رومية 4: 18) عن إبـراهيم عندما أخذ وعد الله بشأن ميلاد ابنه اسحق بعد فترة طويلة من العجز الجسدي سواء بالنـسبة له أو بالنسبة لزوجته، على خلاف الرجاء آمن على الرجاء.
آمن إبراهيم نتيجة للرجاء، فآمن في البداية، ثم الرجاء ثانياً أو لنقـل أنـه نتـاج الإيمـان، (عبرانيين 11: 1) تخبرنا بوضوح "وَأَما الإِيمَانُ فَهُوَ الثِقَةُ بِمَا يُرْجَى وَالإِيقَـانُ بِـأُمُورٍ لا تُرَى. "
فالإيمان هو الأساس الضمني الذي ينتج عنه رجاء، وكلاهما أمر شرعي ولكـن يجـب أن نضعهما في المكان المناسب، فقد خلقهما الله لكي يعملا معاً في علاقة سليمة.
لا يمكنك ببساطة أن تحيا دون رجاء، ففي (رومية 15: 13) يقول بولس: "وَلْـيَمْلأْكُمْ إِلـهُ الرجَاءِ كُل سُرُورٍ وَسَلاَمٍ فِي الإِيمَان، لِتَزْدَادُوا فِي الرجَاءِ بِقُوةِ الروح الْقُدُسِ."
على سبيل التناقض يقدم بولس في (أفسس 2: 12) صورة لهؤلاء الذين ليس لديهم رجـاء: "أَنكُمْ كُنْتُمْ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ بِدُون مَسِيحٍ، أَجْنَبِيينَ عَنْ رَعَوِيةِ إِسْرَائِيلَ، وَغُرَبَـاءَ عَـنْ عُهُـودِ الْمَوْعِدِ، لاَ رَجَاءَ لَكُمْ، وَبِلاَ إِلهٍ فِي الْعَالَمِ."
يقول بولس أن الغرباء بلا ثلاث أشياء (بدون المسيح، وبدون الله ، وبدون رجـاء)، عنـدما تكون بلا رجاء فأنت بدون المسيح وبدون الله، الرجاء هو الجانب المكمل لخلاصنا.
في (كولوسي 1: 27) يتحدث بولس في هذه المرة عن سر الإنجيل فيكتب عـن المـؤمنين قائلاً: "الذِينَ أَرَادَ اللهُ أَنْ يُعَرفَهُمْ مَا هُوَ غِنَى مَجْدِ هذَا السر فِي الأُمَمِ، الذِي هُوَ الْمَسِيحُ فِـيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ."

يتركز الإنجيل كله حول هذا الإعلان الرائع العظيم الذي ظل سراً عن كل الأنبياء والقديسين ورجال الله العظماء في الأجيال الماضية، والجزء العجيب هو أن هذا السر قد أعلن الآن لكي يتضع المؤمنين مثلي ومثلك لأن المسيح هو فعلاً فينا، وأن المسيح فينا هو رجاء المجد.

في (عبرانيين 6: 18 – 20) يؤكد كاتب الرسالة على الأسس الهائلة التي لنا بسبب إيماننا بالمسيح "حَتى يَأْمَرَيْن عَدِيمَي التغَيرِ، لا يُمْكِنُ أَن اللهَ يَكْذِبُ فِيهِمَا، تَكُونُ لَنَا تَعْزِيَةٌ قَوِيةٌ، نَحْنُ الذِينَ الْتَجَأْنَا لِنُمْسِكَ بِالرجَاءِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا، الذِي هُوَ لَنَا كَمِرْسَاةٍ لِلنفْسِ مُؤْتَمَنَةٍ وَثَابِتَةٍ، تَدْخُلُ إِلَى مَا دَاخِلَ الْحِجَابِ، حَيْثُ دَخَلَ يَسُوعُ كَسَابِق لأَجْلِنَا، صَائِرًا عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ، رَئِيسَ كَهَنَةٍ إِلَى الأَبِدِ"

فرجاءنا هو مرساة النفس والثبات، فالمرساة هي التي تعبر بنا من عامل الوقت إلى الأبدية، والثبات يعبر بنا إلى حجاب صخر الدهور الأعظم يسوع المسيح، رئيس كهنتنا والسابق لأجلنا.

يحتاج القارب إلى مرساة لأنه يطفو على عنصر غير ثابت ومتقلب وهو الماء، والمرساة تخرج من القارب لتصل إلى عنصر الصخر الثابت مروراً على عنصر المياه غير الثابت، وعندها تثبت وتظل أمنة. عندما تعبر بمرساتك على المياه (الوقت) لتصل إلى الصخرة (الأبدية) يمكنك أن تشعر بالأمان.

عندما تستثمر نفسك في العلاقة مع يسوع، فأنت بهذا تلقي بمرساتك على صخر الدهور، ولن تستطيع كل العواصف والأعاصير التي تعبر بك أن تفصلك عن هذه الصخرة،ونحن نستخدم الرجاء في هذه العملية.

تدريب

أنها مسئوليتنا أن نربي أذهاننا على الرجاء، وهذا لم يحدث في خمس دقائق، ولكنه استغرق معي أكثر من خمس سنوات ولكن الأمر يستحق كل تدريب وكل وقت استثمرته فيه.

ستتحرر لكي تقوم بدورك، ولكنها مسئوليتك أن تحافظ على حريتك، وبالنسبة لكثيرين منا، إن لم يكن معظمنا، فأن الذهن هو الأكثر عرضة للهجوم.

خذ خوذة الخلاص، خوذة الرجاء وأرتديها وغطي بها ذهنك، وأحمي أفكارك، ولتستأثرها حتى تتماشى مع كلمة الله وتخضع لها، وسوف نختبر عندها النتائج المجيدة.

{دريك برنس عن "خوذة الخلاص" }